عنوان المحاضرة 4:

القصة القصيرة الجزائرية بعد الاستقلال

توطئة:

بعد تحقيق الاستقلال، واسترجاع السيادة الوطنية، خرج الشعب من محنة الاستدمار، والعبودية. ونظر إلى ما حوله فوجد دمارا كبيرا، ووضعا اجتماعيا، وثقافيا مزريا. واقتنع بأن فكرة المقاومة والمجابهة قد تغير شكلها فقط؛ فمقاومة التخلف، والانهيار، والأمية، والجوع هي وجه آخر لها. ومن ثم راح يقتحم مرحلة البناء والتعمير. كما أن الأدباء على المستوى الإبداعي اقتنعوا أيضا أن الفكر الثوري ينبغي أن يستمر في نصوصهم، ويتحول إلى رؤية فنية تسعى من خلاله جل الأعمال إلى تبين معالم المرحلة الجديدة، والاستفادة من أخطاء الماضي، والتطلع نحو مستقبل منسجم مع الطموحات، والأمنيات. «هذا هو الدور الذي ينبغي أن يلعبه القاص في إطار المسيرة الوطنية العامة، وهو دور نضالي يخدم القضايا الوطنية والقومية والإنسانية، ويحتاج صاحبه إلى قدر كبير من الجرأة وحرية التعبير.» [1]

ولهذا برز الموضوع الثوري كبوصلة في حركية سير النصوص ما بعد الاستقلال. ولم تكن تلك الموضوعات هدفا في حد ذاتها، وإنما وسيلة محملة بأهداف بنائية، على المستوى الثقافي، والاجتماعي، والحضاري. وهكذا تحدث عبد الله ركيبي عن الهوية الأدبية التي تبناها «لقد كان لثورة نوفمبر الفضل الأول والأخير فيما كتبنا أمس وما نكتب اليوم، فهي التي فتحت أمامنا أبواب التجربة واسعة عريضة بما فيها من صدق وعمق وثراء..وأمدت الأقلام بما تزخر به من خصوبة وتنوع وقدرة على الاستبصار والتطلع إلى مستقبل زاهر وغد كريم.» [2]

وبذلك جاءت القصة محملة بالموضوعات التي تسعى إلى تجنيد جيل ما بعد الاستقلال نحو البناء والتشييد، وتحسس مختلف الأمراض التي ورثها من قسوة الاستدمار الفرنسي، و«صحيح أن القصة القصيرة بعد الاستقلال قد تطورت شكلا ومضمونا، وصحيح أيضا أن هناك كتابا من جيل الشباب قد جددوا في الأمرين معا، ولكن الصحيح كذلك أن هذا الفن أيام الثورة قد وضع اللبنات الأولى للقصة الجزائرية وسد ثغرة كانت واضحة في ذلك الوقت واستقى تجاربه من الثورة لتبقى صورة لهموم الإنسان العربي في الجزائر.» [3]

ولا أحد من النقاد والدارسين الجزائريين والعرب ينكر الحمولة الثورية لأدب القصة الجزائرية، وذلك لأن «الأدب الجزائري، والثورة الجزائرية شقيقان توأمان، ليس فقط لأنهما

1) محمد مصايف: القصة القصيرة العربية الجزائرية في عهد الاستقلال. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1982. ص13.

2) عبد الله ركيبي: نفوس ثائرة. مجموعة قصص. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1982. ص1. من مقدمة الطبعة الثانية.

3) عبد الله ركيبي: نفوس ثائرة. مجموعة قصص. ص3 من مقدمة الطبعة الثانية.

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

برزا معا في أفق النهضة العربية والآمال الإنسانية؛ فالأدب الجزائري أدب ثوري بأتم معاني الكلمة: أدب يعيش الثورة ولا يتحدث عنها أو يدعو إليها فحسب.» [1]

وبالنظر إلى مسيرة الأدب الجزائري عامة، والقصة القصيرة على وجه الخصوص، بعد الاستقلال، فقد كانت الفترة غير مساعدة لنهوض أدبي، وذلك لأسباب متعددة أشرنا إليها في مواطن عديدة، «والحقيقة أن القصة القصيرة بعد الاستقلال قد أصابها شيء من الركود لظروف المجتمع ولظروف الكتاب أيضا، فالدوافع لكتابة القصة أثناء الثورة كانت قوية، ذلك أن الحماس والتعاطف مع الثورة وروح النضال دفع الكتاب للتعبير عن نماذج مختلفة من أفراد الشعب. بينما نجد بعض هؤلاء الكتاب الآن قد قل إنتاجهم أو كاد يتوقف وبعضهم استغرقته أعمال أخرى بعيدة عن ميدان القصة.» [2]

ولكن يمكن التأكيد على ملاصقة القصة للواقع الجزائري بمحتلف الحمولات الاجتماعية، والسياسية، والثقافية. وبحكم أن المجتمع كان في مرحلة إعادة تجميع المقومات، والتأكيد على صيانتها، فقد ساير الأدب فكرة التعبير عن تلك الإرادة تماشيا مع السياسة العامة للبلاد، «ولو أردنا أن نصنف الموضوعات التي دارت حولها القصة الجزائرية بعد الاستقلال لوجدنا أن معظمها عن الثورة وما يتصل بها من حديث عن الهجرة خارج الوطن أو آثار الاستعمار.ثم التقاليد والعادات وما يتصل بهما من تصوير لعلاقة الرجل بالمرأة، وأخيرا تصوير الواقع الجديد بعد الاستقلال، وهناك البعض القليل الذي تعرض لقضية فلسطين وما يتصل بها.» [3]

ولقد كان للموضوع الثوري دوره في الأدب، وهذا بشهادة أحد الكتاب التونسيين، وهو الهادي العبيدي رئيس تحرير جريدة الصباح التونسية، وهو الأب الروحي للطاهر وطار، الذي عبر عن فضائل الثورة التحريرية، بقوله أنه بفضلها: « لقط الشعر الجزائري من المديح والوعظ وساهم في تغذية الثورة بروائع لو جمعت لملأت أسفارا ضخمة خالدة، وكان من فضائلها أن مهدت للقصة الظهور في الإنتاج الأدبي الجزائري الحديث، فكانت القصة التي تصف صمود الشعب المجاهد أمام قوى الاستعمار الطاغية، والقصة التي تخلد بطولات المناضلين وتتحدث عن الحياة الاجتماعية تحت الوطأة الاستعمارية.» [4]

1- جراد البحر:

1) شكري محمد عياد: دراسة نقدية. من كتاب عبد الله ركيبي، نفوس ثائرة. ص5.

2) عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر 1983. ص178.

3) عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث. ص179.

4) الهادي العبيدي: مقدمة المجموعة القصصية دخان من قلبي للطاهر وطار. ط2. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1982. ص16.

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

وهي من المجموعات القصصية التي شكلت البدايات الحقيقية للكاتب مرزاق بقطاش [1]. وهو مؤلف رواية (طيور في الظهيرة)، و(البزاة) سنة 1976. والمجموعة القصصية المشار إليها (جراد البحر)، طبعت سنة 1981. وقصصها كتبت بين سنة 1969 و1978. وتضم خمس عشرة قصة. واحدة منها كتبت سنة 1969. وواحدة في سنة 1971. وخمس منها كتب سنة 1974. وأربع منها سنة 1976. وثلاث منها كتب سنة 1977. وواحدة سنة 1978. وتدور أحداث هذه القصص حول مواضيع ثورية، واجتماعية، وسياسية.

وقصة (عندما يجوع البشر) التي كتبت سنة 1969. والتي تدور أحداثها في (سانت أوجين) بين 2 جوان، و4جوان 1957. تروي حكاية شاب جزائري اسمه (حسين) يشتغل صيادا في البحر على مركب صغير، مع رجل اسباني اسمه(بيدرو). لا مسكن له. يأويه ملجأ على شاطئ البحر، الذي شيدت فيه بيوت يسكنها الفرنسيون، قريبة منهم ثكنة عسكرية صغيرة للمراقبة. تعرض للسجن والإهانة من قبل جنود فرنسا، «فوالدته قد قضت نحبها خلال وجوده في السجن، ولم يعد له أهل ولا دار تحتضنه. بل إنه أصيب **بخيبة** أمل عندما وجد أسرة جديدة قد احتلت البيت الذي كانت تقطنه والدته.» [2] . وكان غير مرحب به عند أرباب العمل بسبب الأوراق الثبوتية التي تؤكد سجنه بسبب السرقة. فكان يقضي وقته ساهما، متأملا فيما يحيط به. وهناك شيء ما يدور في خلده، ويشتعل في كل حين. وهذا الشيء هو إحساسه بالتفاهة، والضياع، وأن لا مخرج له إلا في الانضمام إلى الفدائيين الذي جرعوا فرنسا مرارة كبيرة. فكان كثير التساؤل، وكثير الصمت، ويوحي لصاحبه (بيدرو) بأن هناك شيئا ما سيحدث وسيقلب الموازين. إلى أن أصبح يصرح له بأن الفرنسيين الذين دخلوا الجزائر عبر البحر، سيعودون إلى بلادهم عبر هذا البحر نفسه. ويتضح من خلال الحوار مع (بيدرو) أن هذا الأخير رجل مناضل، ولم يتخل عن جنسيته، ولاذ بالفرار عندما سقطت مدريد في الفاشية: «إنهم يحسبونني نذلا مثلهم..تفحصها..إنني لم أغير جنسيتي مثلما فعلوا هم..ولن أغيرها أبدا..لقد لذت بالفرار عندما سقطت مدريد في يد الفاشية، وكان في مقدوري آنذاك أن أطلب جنسية أخرى..لكنني رضيت بالمنفى..وسأعيش في المنفى..أما هم فقد باعوا أروحهم وضمائرهم..»[3]. ويبدو أن كلام (بيدرو) زاد من حدة الاشتعال الداخلي، وقرر الهجوم على الثكنة العسكرية من أجل الحصول على السلاح والالتحاق بالفدائيين. وركب قاربه، وانطلق صوب الثكنة: «شعر بأن ثقلا عن كتفه ساعة راح القارب يشق الماء. لم تكن الثكنة بعيدة عن الملجأ ولكنها لم تكن مواجهة له فقد كانت بعض البيوت البحرية تحول دون رؤيتها فآثر الابتعاد عن الشاطئ قليلا حتى لا يثير الشكوك

---

[1]) الكاتب مرزاق بقطاش من مواليد: 1945 بالجزائر. روائي وقاص. مارس العمل الصحفي، عضو في عدة مجالس وطنية . من مؤلفاته أيضا: طيور في الظهيرة (رواية)، دار الزليج (مجموعة قصصية)، دم الغزال (رواية)، بقايا قرصان (قصص)، خويا دحمان (رواية)، عزوز الكابران (رواية) .

[2]) مرزاق بقطاش: جراد البحر. قصص. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. 1981. ص11

[3]) المصدر نفسه. ص19.

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

حوله.» [1]. وفي وقت الغداء أمسك جيدا على القطعة الخشبية التي هي سلاحه الآن، ووجد نفسه أمام جندي، فضربة ضربة عنيفة أسقطته أرضا، وانتزع منه المسدس: «وأسرع نحو الباب، بينما هرول خمسة جنود في أثره، وفتح بابا خشبيا صغيرا واندفع نحو الحديقة في اتجاه مدخل الثكنة وما أن دفعه على مصراعيه حتى أبصر بالجندي الحارس الذي كان واقفا عند المدخل ينطلق مذعورا في الشارع لا يلوي على شيء» [2]. وأصيب أثناء المطاردة، واختبأ في مقبرة الأوربيين. وحين نفدت الرصاصات التي بحوزته، ولم يرد الاستسلام، تركوا أربعة كلاب تنهش لحمه. ثم شدوا وثاقه. «وعندما مثل أمام قائد الكتيبة غمره شعور بالارتياح رغم الألم الحاد في كتفه وبقية أجزاء جسده. شعور مماثل لما يحسه الجائع بعد أن يملأ بطنه إثر جوع مخيف. لقد أشبع جوعه هو، فالموت أو السجن عنده سيان.» [3]

وهكذا تنتهي القصة بنهاية مأساوية. تجسدت فيها البطولة الخارقة، والشجاعة العظيمة التي تحلى بها الإنسان الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي، الذي يرفض الظلم، ويمجد كرامته. ومن هنا يتضح لنا لماذا بقي الموضوع الثوري هو بوصلة الأدب الجزائري بعد الاستقلال لسنوات طويلة. لأنه أصبح النموذج الذي به تقاس فاعلية الإبداع. وعلى هذا الأساس بني السرد القصصي على التحديد الزمني والمكاني الدقيق.

وقصة (أعراس الموسم الجديد)، التي من ضمن المجموعة كتبت سنة 1971. تعد محاولة جادة في تحديث أسلوب كتابة القصة الجزائرية القصيرة، فمن حيث الشكل القصصي اعتمدت الحوار الداخلي في جل أنساقها، وتكسير البنية المستقيمة التقليدية. وكانت مختلف الحوارات النفسية التي طرحها الراوي عبارة عن أسئلة وجودية إشكالية تبحث عن كيفية تمركز الذات بين ضحالة الأفق في مجتمع يحاول إعادة بناء نفسه، وضخامة التحول العالمي، وتغول العالم الجديد بقيادة أمريكا. وملخص ذلك أن الراوي الذي هو بطل القصة، يبدأ رحلة السرد، في جو شديد المطر، بقراءة كتاب (كاريل شيسمان)، وهو أحد رجال العصابات الأمريكيين، وقد أُعدم في غرفة الغاز سنة 1960. وقبل ذلك ألف رواية في السجن عنوانها (الزنزانة 2455 رواق الموت). ولاقت رواجا كبيرا في العالم. والسارد مجاور لجدته، ومن حين لآخر يسترجع ما تقوله له في التعلق بعادات الجدود، وترك عادات الشمال، ويقصد به العالم الغربي المتحضر. «إنك تكرهين حتى التعلق بعادات الشمال، فلقد قلت لابنك صباح اليوم: " لماذا تبذر دراهمك، أترك ثيابك لغسلها في الدار» [4]. وتحضر شخصية الجدة كمرافق للسارد أثناء عملية قراءة الكتاب. وعادة ما تملك العجوز في جلوسها في البيت مجموعة من الميزات. وحين يحدق فيها يرى فرقا

---

[1]) المصدر نفسه. ص20-21.

[2]) المصدر نفسه. ص21.

[3]) المصدر نفسه. ص24.

[4]) المصدر نفسه. ص26.

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

شاسعا بينها، وبين العالم الغربي، «لقد عصرت ذهني عصرا ولكنني لم أجد رباطا بينك وبين القادمين من الشمال! فأنت في عالم، وهم في آخر ولا صلة بين العالمين سوى الرباط البشري» [1]. وكل ما يدور في ذهن الراوي هو قلق، وحيرة، واسترجاع لأحداث وشخصيات لها دلالاتها. ففي لحظة ما يستحضر شخصية (العربي بن مهيدي). وتارة أخرى يستحضر شخصية والدته المشلولة في عربتها. ويستحضر شخصية جاره (أحمد) الذي له ولد كسيح أيضا. ويحضر المطر في القصة كرمز للاكتساح والتغيير. ولكن في مقابل الحس بثورة التغيير لواقع متردٍ. يظهر العجز والضعف بشكل أقوى. «الضعيف لا أرض له ولا وطن. والقوة هي التي تصنع التاريخ. والمطر، ولا شيء سوى المطر يا كاريل.» [2]. لقد بني النص القصصي على جملة من الشخصيات، شكلت مكونات رمزية داخل القصة، وأفرزت حمولة دلالة متشابكة ومعقدة ذات أبعاد سياسية، واجتماعية، وحضارية، وهذه الشخصيات هي:

أ- شخصية الجدة:

ترمز الجدة في النص إلى العراقة، والتاريخ، والانتماء. «جدتاه! كأني بنفسي فوق برج مدينة من الحجر الصلد يموت كل شيء عند أبوابها الموصدة. لدي ما أقتات به دهورا طوالا. فالخوابي مفعمة خيرات وقد ملأتها منذ قرون ولا أحسب أنها ستنفد يوما ما.» [3]. وهي تمثل الطرف المعادي لعالم الشمال. وهي البداوة في عنفوانها، والشمال حضارة متوحشة. والاستمساك بالجدود، هو استمساك بالجذور، والأصول المشكلة للهوية. فهي انتماء راسخ، مغذى بنسغ لا ينهزم أمام رعونة الحضارة الحديثة التي جاء بها المستعمرون المحتلون. «جدتاه! الريح التي تهب من الشمال لا تخيفني، إنها لا تقتلع سوى الطحالب وتظل أبد الدهر تعول عند أبواب مدينتي، لأنني أصررت على العودة إلى ذاتي حتى أستطيع المقاومة وأقوى على الإبداع.» [4]. ويطرح النص القصصي هنا، حالة من القلق الذي رافق مسيرة المجتمع الجزائري غداة الاستقلال، وقد خرج مهيض الجناح. تتكالب عليه المحن والقروح من كل الجهات الأربع.

ب-**شخصية كاريل**:

وهو رجل أمريكي كان يسرق «ها أنتذا تدخل السجن يا كاريل لأنك كنت تذهب إلى السوق فجر كل يوم وتسرق حتى لا تموت هادلي [وهي أم كاريل شيسمان، وهي كسيحة أيضا] جوعا.» ص31. ولعل قضية السرقة من أجل العيش، هي سمة ترددت في بعض الأعمال الروائية الغربية، من مثل شخصية (جان فالجان) في رواية البؤساء لفيكتور هيغو. الذي قضى سنوات طوال قدرت بتسع عشرة سنة بسبب سرقة رغيف خبز لإطعام عائلته. «أتذكر يا كاريل ما قاله لك ذلك الشرطي العجوز يوم ألقي القبض عليك لأول مرة: (حذار

---

[1]) المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

[2]) المصدر نفسه. ص30.

[3]) المصدر نفسه. ص27

[4]) المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

يا كاريل، فالحضارة سوف تسحقك). الحضارة سوف تسحقك مثلما فعلت بالهنود الحمر عند زحفها على أراضي الغرب القصية» [1]. وهذه الحضارة توصف تارة بالتنين «إنها تنين بشع يلتهم كل شيء» [2]. وهي حضارة غير منصفة؛ لأنها قامت على أنقاض الشعوب الأصلية للأرض وهو الهنود الحمر. فأي حضارة تسحق الإنسان. وفي مواجهة هذه الحضارة البشعة. تظهر شخصية:

ت-شخصية العربي بن مهيدي:

تبرز شخصية (العربي بن مهيدي) في سياق مناهض لحضارة العالم الجديد. وهو أحد أكبر قادة الثورة التحريرية، وقاهر جنرالات فرنسا. وهي الشخصية التي تمثل في مخيلة ووجدان الشعب الجزائري قمة التحدي، والإصرار، صاحب المقولة المشهور: ألقوا بالثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب. وقد اعترف العدو بشجاعته، وصبره، وقدرة تحمله كل أصناف التعذيب. إلى أن قتل على يد جلاديه دون أن يكشف سرا لهم. «هي ذي صورة (العربي بن مهيدي) ببسمته الإنسانية وقد وقف أما الكولونيل (بيجار) يحطم الزيف بكلمات معدودات، ويوجه للحضارة ركلات رعناء فتكاد تهوى..»[3]. وقد برزت هذه الشخصية متحاورة مع شخصية (كاريل)، حيث يجمع بينها الحس الثوري المناهض لحضارة الاستبداد، والقهر. وهذا ما أدى إلى الإصرار على تنفيذ حكم الإعدام فيهما. «هو ذا الكولونيل بيجار ينسرب في العتمة إلى زنزانة ابن المهيدي ويطعنه.»[4].

ث-**شخصية (هيو) الفيتنامي**:

يستحضر أيضا هذه الشخصية لما لها من دور في الوقوف ضد أمريكا. ويتحول الأرز في يده إلى رمز المقاومة، والتمسك بالأرض. فالأرز هو فعل مقاوم هنا، يقف سدا منيعا في وجه الغزو الأمريكي للفيتنام. «إنه يكور قبضة الأرز فتستحيل حجرا صلدا يقذف به تمثال الحرية القابع في عاصمة الزيف. الأرز بأكمله تحول أحجارا ترتطم بالتمثال المزيف» [5]. ويغدو تمثال الحرية في أمريكا وهما يباع ويصدر للشعوب. لأن أمريكا لا تؤمن بحرية الشعوب.

ج- **شخصية أم سلمان الفلسطينية**:

وهي شخصية متحررة أيضا في أرض فلسطين. «إنها واقفة في الضفة الشرقية من نهر الأردن. الليل يكاد يدهمها دون أن ترى أثرا لابنها، فقد ذهب يخطف البرتقال وراء الأسلاك الشائكة ولما يعد» [6]. وعندما تشتد محنتها تصرخ: «لقد ضربونا يا هيئة الأمم

---

[1]) المصدر نفسه. ص31.

[2]) المصدر نفسه. ص32.

[3]) المصدر نفسه. ص33.

[4]) المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

[5]) المصدر نفسه. ص34.

[6]) المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

المتحدة..احتلوا أراضينا..حبسوا عنا أنفاسنا..»[1]. والشكوى هنا إنكارية؛ لأن هيئة الأمم هي هيئة عاجزة أمام سطوة الدول الكبرى، وحليفتهم إسرائيل.

ح- شخصية شوبان:

تأتي شخصية (هيو) في سياق الرفض الذي تبنته هذه القصة. وهو الذي أتعب دول الحلف الأطلسي، وعلى رأسهم أمريكا وبريطانيا وفرنسا. حيث اتبع أسلوب حرب العصابات ضدهم. ولكن يموت الرجال، وتبقى أفكارهم، وأحلامهم للأجيال من بعدهم. «لقد أخذ (هيو) بنصحك يا (كاريل)! لكأني بك تكتب بكائيتك قبل موتك مثلما فعل (شوبان) في مسيرته الجنائزية» [2]. وفريدريك شوبان (F. Chopin) هو موسيقار من أصل بولندي، وجنسية فرنسية. وعلى الرغم من النجاح الذي حققه في فرنسا موسيقيا. إلا أنه ظل منتميا إلى بولندا، مات شاب، وأوصى بأن يؤخذ قلبه بعد موته إلى بولندا.

خ- **شخصية الكهل الأشيب**:

هو رجل سكير من أبناء الحي. وهو رجل مخضرم؛ عاش الاحتلال والاستقلال. ويركز البناء السردي للقصة على رصد بعض سلوكيات الحي الذي يسكن فيه البطل، وكيف يتعاملون اجتماعيا، والخمول الذي يسيج حياتهم، وذلك أفرز حياة قاتمة لا أفق فيها. «أتراك شربت زجاجة واحدة أم اثنتين؟ - هه..وهل تكفيني زجاجة واحدة؟. وأردت أن أشعره بأنه يقتل نفسه قتلا بطيئا، لكنني فوجئت به يزوي ما بين حاجبيه ويقول: -لست أنا الذي يقتل نفسه وحده، بل كلنا على شاكلة واحدة، نرتكب الأخطاء ولا نشعر بها تماما.» [3]. ويواصل كلامه: «إن الطريق واضحة أمامنا..لقد ضعنا طويلا..قرونا عديدة..وسنضيع إن نحن لم نعد إلى أنفسنا..»[4]. والعودة إلى النفس هنا، هي عودة نقدية، تقوم على مساءلتها، وتبين أسباب انهيارها. ولعل مرحلة ما بعد الاستقلال لم تكن مرحلة رخاء، وثراء وخصوبة. بل إنها في نواح أخرى، هي مرحلة إحساس بالقهر الجاثم على النفوس، سياسيا واقتصاديا وحضاريا. فالمجتمع كان تائها، يبحث عن نفسه وسط ركام من التيارات، والتوجهات، من الداخل والخارج.

د- أطفال الحي:

يظهر الأطفال في هذا النص، في لهوهم، وعبثهم دون رقيب، «تذكرني اللحظة صورة أطفال حينا وقد اجتمعوا حاملين المعاول والفؤوس لكي يسووا قطعة من الأرض بني عليها نصب تذكاري للشهداء على شكل نجمة وما ذلك إلا لأن النصب حال بينهم وبين لعبة الكرة. ما أعجب هؤلاء الأطفال! إنهم يبلورون كل شيء. إنني أراهم وهو يقتلعون قطع الأصداف البحرية واحدة تلو الأخرى من النصب وما أدركوا بأنها كادت تودي بحياة أربعة منا عندما

---

[1]) المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

[2]) المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

[3]) المصدر نفسه. ص37-38.

[4]) المصدر نفسه. ص38.

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ذهبنا لالتقاطها من الشواطئ أيام المنظمة الإرهابية الفرنسية» [1]. والمعطى الثوري الذي يدور حوله هذا الحدث ينبئ بانهيار قادم. فهناك شرخ في المنظومة الاجتماعية، والعقلية للمجتمع. وسلوك الأطفال هو تشوه على المستوى السلوكي. فمن المفروض أن يعلم الأطفال بطولات الأجداد. والنصب التذكاري هو عنوان للانتماء إليهم، وتقدير تضحياتهم. فإذا كان كبراء الناس راتعين في المقاهي، يتعاطون كؤوس الخمر، والأطفال يلهون ويعبثون بمقدرات التاريخ الثوري. فالأمر ينبئ بانهيار ما قادم.

لقد بنيت هذه القصة على معطى ثوري، استحضر شخصيات غربية وعربية، يجمع بينها هاجس الرفض، والسير في طريق التحرر. وذلك رفضا للسياسة الاستعمارية بكل حقبها الزمنية. كما أن القصة القصيرة في الأدب الجزائري لم تعد تسجيلا لأحداث الثورة داخل مجتمع مشرئب إلى أفق الحرية، وإنما أصبح الأمر يقوم على المساءلة، وتبين الأخطاء؛ لأن المرحلة هي مرحلة بناء وتعمير.

2- نهاية المطاف بيديك:

اللافت للانتباه في هذه المجموعة القصصية المكونة من ثلاث عشرة قصة أغلبها كتب سنوات السبعينيات. هو العتبة الأولى، وهي الإهداء، الذي يقول فيه:

إلى الذين سقوا بدمائهم زهور النصر،
إلى الذين قرحت عيونهم رمال الطريق الصحراوي،
إلى الذين لفحتهم شمس السد الأخضر،
إلى الشباب الواثق.

والإهداء الذي بدأ به الكاتب (جيلالي خلاص)[2] يشير إلى ثلاثة أجيال. الجيل الأول هو جيل الشهداء الذين ضمنوا استقلال الجزائر. والجيل الثاني، هو جيل بناة البلاد بعد الاستقلال. والجيل الثالث، هو جيل الشباب الذي هم عماد الوطن. ومن هنا تبدأ قصة المجموعة في امتدادها، وتحولها.

وتروي قصة (الليل ينتهي في ساعة الصفر) حكاية رجل اسمه (سالم)، صمم رفقه إخوانه الأربعين خطة للهجوم على مواقع فرنسية ليلة أول نوفمبر 1954. والقصة تسجيلية، تؤرخ لليلة اندلاع ثورة أول نوفمبر. يقود البطل (سالم) سيارته المحملة بالأسلحة. وبرفقته زوجته وولده الصغير. والاتجاه نحو مقر التقاء الأفراد المعنيين بتنفيذ

---

[1]) المصدر نفسه. ص39.

2) من مواليد: 1952 بعين الدفلى، عمل في العديد من المجالات كالتعليم والصحافة والإدارة كما اشتغل بالمؤسسة الوطنية للكتاب. له عدة مؤلفات في مجالي القصة والرواية منها: خريف رجل المدينة، نهاية المطاف بيديك، الخبز والإسمنت (دراسة 1981)، رائحة الكلب (رواية 1985)، حمائم الشفق (رواية 1986)، عواصف جزيرة الطيور (رواية 1988)، السفر إلى الحب (1977)، بحر بلا نوارس (رواية 1998)، زهور الأزمنة المتوحشة (رواية 1998). الكتاب كما ترجم عدة أعمال من الفرنسية إلى العربية. وله أعمال للأطفال منها: مرارة الرهان (1984)، الديك المغرور (1984)، أول كاتب فاز بجائزة نادي الحضارة .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الهجوم في كوخ حقير في قرية (العين الساخنة) بالقرب من ولاية خنشلة. وكان بإمكانه السير على طريق اجتنابي بعيد عن مراقبة الدوريات الفرنسية. لكنه صمم على السير في الطريق المراقب. ووصل إلى حاجز التفتيش، وأوقفت سيارته. «هز العسكري ذو القامة المديدة رأسه في استعلاء، ثم وجه الكلام إلى أحد جنوده:

- فتش السيارة.

تسارعت دقات قلب سالم. توترت أعصابه أو كادت. كان عليه أن ينزل. فنزل في سرعة كي يبدد قلقه. وسبق الجندي إلى الصندوق الخلفي للسيارة وفتحه، ثم فتح الأبواب واحدا واحدا موسعا للجندي في كل مرة ليرى ويشاهد بعينيه أن لا شيء في السيارة..أخيرا، صاح الجندي مخاطبا قائده:

- لا شيء يذكر.

أومأ العسكري إلى سالم أن خذ أوراقك فاقترب منه وتناولها واستدار بخفة ليلج سيارته، ولم يهدأ إلا حين اقتعد دسته أمام عجلة القيادة حيث أحس بصلابة الأسلحة تحته فتمتم (لو وضع يده فوق إحدى الدسوت فقط)» [1]. وقبل أن يصل إلى الكوخ ترك زوجته وابنه عند صهره. والتقى الرفقاء بقيادة (عباس) قائد المجموعة. وتم الاتفاق على مهاجمة المراكز الآتية: مولد الكهرباء-مركز الشرطة-الثكنة العسكرية-مقر الدرك. وفي ساعة الصفر بالتمام في اليوم الواحد والثلاثين من شهر أكتوبر 1954. انطلق الرفاق، كل حسب وجهته. وفي تلك الليلة يستذكر أمه: «التي غادرها ظهر اليوم وهي طريحة الفراش خوفا أن يصدمها. أوهمها أنه ذاهب في زيارة لصهره، ودعها بقبلة فوق جبينها:

- لا تقلقي يا أماه. سنعود غدا أو بعد غد. سنأتي بالدواء أيضا. أجابت والألم يعصرها والدموع تنحدر على وجنتيها المتغضنتين:
- مع السلامة..مع السلامة.»[2].

وفي عمل بطولي، نفذ كل فرد فيه ما أوكل إليه. وكان سالم رابط الجأش، مصمما على إلحاق الضرر بثكنة الدرك الفرنسي. «ولم يدر سالم كيف تعاقبت الأحداث. لقد وجد نفسه يجري، يسقط، يقتحم الظلمة، يطلق الرصاص على هذا، يبقر بطن ذاك، يخترق الأبواب، يقتلع الأسرة من تحت النائمين، يلتقط رشاش دركي تهاوى تحت الطلقات المتوالية دراكا، كان يعمل ويدور كالآلة. كل حركة ضغطة على زر للوثوب أو الاشعال أو التقتيل أو الاندفاع. وبغتة وبينما كان يهم بإلقاء قنبلة يدوية تجاه دركي، اقتلع قلبه انفجار مروع. واستشعر لأول وهلة خدرا يسري في رأسه. ثم أحس وهو بين الصحو والغيبوبة بدماء ساخنة تسفح على وجهه.» [3].

---

[1]) جيلالي خلاص: نهاية المطاف بيديك. وقصص أخرى. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1981. ص8-9.

[2]) المصدر نفسه. ص12.

[3]) المصدر نفسه. ص13-14.

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

وبتمعن بسيط في طبيعة البطل، تظهر مواصفات الإنسان الجزائري الذي فجر ثورة أول نوفمبر. فهو لم يكن هينا، أو ضعيفا، أو خائفا، أو مترددا. كيف يمكن لشاب تمتد أمامه الحياة، فيتركها، ويترك أمه وزوجته وابنه في إصرار وعزيمة تفل الحديد. وعلى هذا، فالموضوع الثوري سيطر بشكل كبير على مضمون القصة القصيرة بعد الاستقلال. فلا يخلو هذا الأدب من هاجس المقاومة، وفعل النضال، وأحيانا ينسى فعل البناء في غمرة النشوة بضخامة هذه الثورة، وبطولاتها، ومآثرها.

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.